الدكتور فارس السقاف رئيس الهيئة العامة للكتاب في اليمن:

نسعى لفض «الاشتباك» في ازدواجية النشر بين هيئة الكتاب ووزارة الثقافة في اليمن

صنعاء ـ «القدس العربي» ـ من خالد الحمادي:

الإشكاليات الكثيرة التي تعاني منها الحركة الثقافية في اليمن وبخاصة حركة النشر والتوزيع للكتاب، قد تكون طبيعية في ظل الأوضاع غير الطبيعية أصلا في البلد في مختلف المناحي، لكن الأمر المستغرب التضارب القائم حاليا في الصلاحيات بين الجهات المعنية بعملية نشر الكتاب وتحديدا بين الهيئة العامة للكتاب التي تقول إنها صاحبة الحق في عملية النشر، وبين وزارة الثقافة التي تتبعها الهيئة وتعتبر من مكوناتها الهيكلية.

هذا التضارب والازدواج ضاعف في خلق المعوقات والإعاقات أمام عملية النشر للكتاب اليمني، بحيث أصبحت كل جهة من هذه الجهات الرسمية تدعي وصلا بليلى، وتتسابق على الادعاء بهذا الحق، وعلى عملية النشر الذي تعتبره كل جهة الواجهة اللامعة والنافذة البراقة لخلق الصيت الكبير وإحداث الأصداء القوية أمام العامة، ما جعلها تنشغل بهذه القضايا الداخلية على حساب المهمة الأساسية وهي عملية النشر.

هذه الإشكالية لم تنحصر في دائرة صغيرة ومغلقة، وليست حبيسة الجدران، بل خرجت روائحها وأصداؤها إلى السطح، بحيث أصبحت مثار جدل بين المثقفين، ومادة خصبة للتعبير عن رداءة الوضع حين يتعلق الأمر بتضارب الاختصاصات التي قد تشغل المعنيين عن التفرغ للمهمة الأساسية وهي عملية النشر وتطويره وحل مشاكله والانطلاق به نحو آفاق أوسع.

للتعرف على هذه المشكلة وعلى معوقات عملية النشر في اليمن، التقت «القدس العربي» بصنعاء برئيس الهيئة العامة للكتاب في اليمن الدكتور فارس السقاف. هنا نص اللقاء:

■ يلاحظ أن هناك إزدواجية في عملية النشر للكتاب اليمني بين الهيئة العامة للكتاب وبين وزارة الثقافة، على الرغم من أن الهيئة تابعة للوزارة ووجهها الآخر، ما هو سر هذا التشابك وهل هناك محاولة لفض هذا التشابك؟

■ فعلا وزارة الثقافة معنية بالكثير من هذه الأمور، لكن هذا الأمر إداريا يتوزع بين اختصاصات هيئات تتبع وزارة الثقافة فنيا ولكنها مستقلة إداريا، مثل الهيئة العامة للكتاب، وهيئة المسرح والسينما والهيئة العامة للآثار إلى هيئة المدن التاريخية إلى غير ذلك وهذه طبعا هيئات لها موظفون ومقرات وفروع، فيجب أن يعطى لها دورها. طبعا كانت هناك ازدواجية في هذا الأمر، لأن هيئة الكتاب لم يكن لديها رئيس يدير شؤونها لفترة بعد تعيين رئيسها السابق الأخ خالد الرويشان وزيرا للثقافة، وقبل أن أتولى رئاسة الهيئة، كانت وزارة الثقافة تتولى هذا الأمر ثم جاءت مرحلة (صنعاء عاصمة الثقافة العربية 2004) واستمروا في هذا المنوال حتى انعقاد معرض الكتاب الدولي الأخير على الرغم من أن الإعداد لهذا المعرض هو من اختصاص الهيئة العامة للكتاب، في الحقيقة نحن الآن بصدد (فض هذا الاشتباك) والفصل في الاختصاصات بين هيئة الكتاب وبين وزارة الثقافة، بحيث تتولى هذه الأمور هيئة الكتاب على أرض الواقع، لأننا في الحقيقة شهدنا في الفترة الماضية عناوين لكتب يقال إنها موجودة، ونشرت بين 400 و500 عبر الوزارة لكنها ليست موجودة في الأسواق، وكما كتب عنها الكثير من المثقفين والكتاب أن الديدان والأرضة أصبحت تقتات منها لتكديسها في مخازن وزارة الثقافة، وعلاوة على ذلك كان في عملية نشرها عامل العجلة والاستعجال وتم التركيز على جانبي الشعر والقصة، الذي ربما يحتل من الاهتمام قدرا معينًا ومهما، لكن لا يطغى على كل المجالات الأخرى، ويجب أن ننتج في اليمن أصحاب معرفة وعلوم وفكر وثقافة، والثقافة اليمنية حافلة وزاخرة بالكثير من المعطيات في كثير من الجوانب وينبغي أن نركز عليها وسيظهر لنا كثير من المؤلفين والباحثين في هذه المجالات عندما يجدوا أن ما يكتبونه ينشر ويلقى الرعاية والاهتمام.

■ كما ذكرتم المطبوعات التي تنشرها الهيئة العامة للكتاب وكذا وزارة الثقافة مركزة فقط، بينما أهملت تماما المطبوعات في المجال الأخرى، كمجال النقد والفكر والبحوث وغيرها، هل من رؤية لتغيير هذا الواقع؟

■ في الحقيقة نحن، بداية، عملنا دراسة عن القارئ وعن الكتاب اليمني عموما، وكما قيل في هذا الصدد أن اليمن بلد المليون شاعر، وكل يوم يتوالد لدينا شعراء عديدون. مجال الشعر والقصة مجال مهم ولكن نسعى لتوسيع دائرة النشر وقد بدأنا الآن في تقسيم المؤلفات فأوجدنا لجنة تحكيم ولجنة نصوص وعندما يأتي لنا المؤلف بما لديه نعرضه على اللجنة ونصنّفه شعرا أو قصة أو فكرا أو غيره، ونحاول تخصيص نسب لكل مجال، بحيث تتوازى عملية النشر في مختلف المجالات ونسعى حاليا لاستقبال مؤلفات من مختلف المعارف، وهناك طريقة أخرى تتعلق بمتطلباتنا نحن، مثلا نريد أن ننشر كتابات في السياسة، في الاقتصاد، في الثقافة، في الفنون ودراسات في شتى مجالات المعرفة فنطلبها من أهل الاختصاص، حيث نطلب منهم أن يقوموا بتأليف كتب، بمقابل جهد فكري، في المجالات التي نشعر أن القارئ في أمس الحاجة إليها لا أن تكون عملية النشر تحصيل حاصل، ولذا نحن نسعى حاليا إلى السير في هذا النهج عبر هاتين الطريقين، لا أن ننهج المسلك السابق الذي كانت الهيئة تتبعه وهو أن يأتي شعراء وكتاب قصة ويطلبوا من الهيئة طباعتها ونشرها، وبالتالي أعتقد أنه أصبح علينا أن نختار أيضا العناوين والتخصصات والمجالات، وقد قمنا بتقسيم نسب النشر إلى سلاسل، فخصصنا نسبة لسلسلة الإبداعات، من شعر وقصة ومسرح وخصصنا نسبة لسلسلة الترجمات من اللغات الأخرى إلى اللغة العربية والعكس، ولدينا حاليا مؤلفات في هذا الجانب، ولدينا أيضا مؤلفات سياسية في علم الاجتماع السياسي وغيرها وأصبحت جاهزة وهي الآن تحت الطبع، إضافة إلى الدارسات والبحوث والدراسات النقدية والأدبية والفكرية وتحولات المجتمع اليمني، وكذا إبراز التراث الفكري لليمن، فهذه نحن الآن فعلا نحاول أن نرشدها وأن نوجهها التوجيه المطلوب بحسب الاحتياجات، حتى لا نعطي انطباعا وفرصة للنشر في مجال واحد فقط وننسى بقية هذه الجوانب وهذه المجالات.

■ ما هي من وجهة نظرك أبرز المعوقات التي تواجه الكتاب اليمني؟

■ الكتاب اليمني يشهد في هذه الآونة نوعا من إعادة الاعتبار لهذا الجانب الهام من حياة المجتمع اليمني والذي يغيب وغاب عنه فترة طويلة. أهم المعوقات يمكن تلخيصها في محاولة إعادة الاعتبار للكتاب، كما قلت، بإصدار التشريعات والقوانين التي تكفل تطوير الكتاب وتسويقه ونشره وتوزيعه وايضا إيجاد مناخ الحرية للنشر، بمعنى إيجاد التشريعات والقوانين الضامنة والكافلة لحرية النشر، طبعا الحرية المسؤولة ضمن إطار الدستور والقانون بحيث لا تكون هناك جملة من القيود والعوائق التي تعيق حركة النشر والتأليف والتي توجد رقابة مسبقة داخلية لدى المؤلف والناشر ولا بد من إعطاء الأهمية والرعاية للمؤلفين والكتاب بحيث يكونون ضمن الكادر الوظيفي الذي يعطيهم الاعتبار والأهمية وليس فقط تجميع الأموال من خلال النشر وتسويقه، لأن هذا لا يجني من ورائه أي ربح، ثم هناك عوائق مادية واقتصادية، حيث أنه في ظل الحالة المعيشية الصعبة للناس أصبحت أولوية الكتاب متأخرة وليست متقدمة على الغذاء والدواء وغيرها من متطلبات المعيشة، وهناك لا بد من مشاركة الدولة فيها لتسهيل هذا الأمر.

■ يلاحظ أن حركة النشر في اليمن ضعيفة إلى حد كبير، فهل الإشكالية هنا إشكالية نشر أم إشكالية تأليف أم كلاهما معا؟

■ بداية الشكلة مشكلة تأليف، بمعنى عدم وجود أصحاب معرفة من الذين ينتجون المعرفة والعلوم وليس الذين يجمّعون أو يعدّون ويعملون عملية تجميع بسيطة وسهلة، إنما يفترض أن نوجد وأن ننتج مثل هؤلاء وأن تكون هناك حركة تأليف وتشجيع لهذا الجانب ثم بعد ذلك إذا وجد التأليف ووجدت الكتب، فتقف هناك مشكلة أخرى كبيرة وهي مشكلة التوزيع والتسويق وإيصال الكتاب إلى القارئ، ليس فقط عبر المكتبات الخاصة بالبيع، ولكن أيضاً عبر المكتبات العامة والجامعات والمؤسسات التعليمية، فالمشكلة معقدة ومركبة بمعنى مشكلة تأليف ومشكلة تسويق وهما مشكلتان متلازمتان ولا بد من فك التداخل بينهما ومعالجة كلٍ منهما على حدة، بالتواصل مع الطرفين.

■ على ضوء المعوقات الاقتصادية والتطور الإعلامي وكثرة الفضائيات، هل لا زالت العلاقة وثيقة بين القارئ اليمني والكتاب؟

■ القارئ اليمني لا يزال متلهفاً لاقتناء الكتاب، وتثبت معارض الكتاب الدولية التي تقام في صنعاء أو في غيرها من المدن اليمنية أن القارئ اليمني يتطلع إلى كل ما هو جديد ويحاول أن يقتني الكتب في شتى مجالات المعرفة، ولكن كما قلت هناك معوقات فالقارئ اليمني لا تزال علاقته بالكتاب المطبوع ورقيا علاقة وثيقة، ولا بد من تنشئة الجيل على هذه العلاقة مع الكتاب من خلال المدارس ومن خلال إيجاد المكتبات في المنازل، وهذا ما أطلقناه نحن تحت شعار (الكتاب للجميع)، من أجل تسهيل إيصال الكتاب للقراء بمختلف مستوياتهم، وفي الحقيقة لا زال القارئ اليمني يعاني من أمية مركبة، أمية الحرف وأمية الكومبيوتر، فالكتاب الإلكتروني لا يزال مبكرا على اليمنيين وبخاصة أن الذين يتعاملون مع الكومبيوتر لا يزالون قلة، فالقطيعة موجودة إلى حد ما بين القارئ اليمني وبين الكتاب ولكن يعاد لها تدريجيا هذا الأمر.

■ ما هي أنشطة الهيئة العامة للكتاب في اليمن في جانب تنشيط المشهد الثقافي اليمني؟

■ نحاول ابتداءً أن نوجد هذا الكيان المستقل ذا الشخصية الاعتبارية بحيث يكون له تواجد وحضور لدى القارئ اليمني أو المتلقي اليمني عموماً، فأعدنا صياغة الإدارة والتواصل مع الجمهور وأنجزنا في هذا المجال ما يمكن اعتباره بدايات للبنية التحتية في إيجاد المكتبات العامة في المحافظات والمدن والنواحي والعزل والمدارس والجمعيات والنوادي الأهلية، وأوجدنا إصدارات تشجيعا للمؤلفين اليمنيين من خلال إصدار سلاسل أعلام يمنية في المشهد الموسيقي، في الأدب، في الفن وفي المسرح وسلسلة إبداعات في الشعر، في القصة والمسرح إلى سلسلة ترجمات من اللغات الأخر إلى اللغة العربية والعكس، وأوجدنا أيضا (منتدى أصدقاء الكتاب) في اليمن بحيث يكون هناك رافد للهيئة العامة للكتاب من المجتمع المدني وأصدرنا عن ذلك المنتدى مجلة وهي أول مجلة تعنى بالكتاب والنشر والتوزيع أسميناها مجلة (الكتاب) وصدر منها عددان حتى الآن.

■ ما هي مشاريعكم المستقبلية الطموحة في هذا الصدد؟

■ تصور أن اليمن لا تزال تعاني من مشكلة غياب المكتبات الحديثة، فنحن الآن نحاول أن نؤسس لمكتبة وطنية حديثة كبرى في العاصمة صنعاء وأيضا في حضرموت وتطوير المكتبة الوطنية في عدن، بحيث تضم هذه المكتبات الوطنية العناوين والإصدارات في شتى العلوم والمعارف، إضافة إلى المكتبة الإلكترونية وتزويدها بقاعة للمطالعة ومسرح وصالة عروض وسينما إلى غير ذلك وهذا مشروعنا القادم، وقد بدأنا بالدراسات في هذا المجال، إضافة إلى إيجاد مطبعة حديثة تتبع الهيئة العامة للكتاب لتيسير إيصال الكتاب للقارئ اليمني، ونحن بصدد إصدار موسوعة يمنية للأعلام والمؤلفين اليمنيين وسوف تصدر في هذا العام 2006 وقد وقّعنا عقدا واتفاقاً في القاهرة لطباعة هذه الموسوعة التي ستكون موسوعة ضخمة وكبيرة وشاملة.

فارس السقاف (القدس العربي)

«الهوية» تحت مجهر ست قراءات عالمية:

إجماع على قلق سؤال الهوية

منتصر حمادة *

■ مبادرة ثقافية جادة تلك التي أقدمت عليها «مؤسسة شارل ليوبولد مايير» بإصدار مشروع «مفاهيم عالمية»، الذي يعالج مجموعة مفاهيم وأفكار أساسية تبعا لاعتبار وجهة النظر الثقافية المختلفة، ومقارنة الآراء المتباعدة وتقاطعها حول موضوع واحد، وهو ما اصطلح عليه بـ«الكلمة المفتاح».

وهكذا تعمل السلسلة التي تشرف عليها نادية التازي ـ بتعاون مع المؤسسة الأم ـ على تنشيط التحاور بين الثقافات وعلى استقصاء البحث في العولمة انطلاقا من مقدمات أولية حول مواضيع أساسية مثل «التجربة» و«الجنس» و«الهوية» (المفهوم الذي يجسد ضيف هذا العرض) و«الطبيعة» و«الحقيقة». ويتضمن كل كتاب من السلسلة ستة مقالات، فمفهوم الحقيقة مثلا، عالجه كاتب إفريقي وأمريكي وعربي وصيني وأوروبي وهندي، وهكذا، قبل أن تترجم جميع الدراسات إلى أربع لغات: الإنجليزية والعربية والصينية والفرنسية. وقد قام عبد القادر قنيني بترجمة الإصدار الخاص بمفهوم الهوية إلى اللغة العربية (مفاهيم عالمية: الهوية، من أجل حوار بين الثقافات. المركز الثقافي العربي. بيروت/الدار البيضاء. ط. 1, 2005).

نفتتح هذا العرض ببعض ما سطره الكاتب الصيني وانغ بين والذي يرفض رفضا مناقشة «الهوية الصينية» لأن هيمنة اللغة الإنكليزية كانت قبل كل شيء، قد ثبتت مسبقا معنى الصيني، وكون هذا المعنى صاغ «الحقيقة الواقعية» وفقا لاستخدام الناطقين بالإنجليزية وحدهم، مفضلين عالما سيمانطيقيا ولسانيا من بين سائر العوالم الممكنة. إذا يبقى الصيني إلى الأبد، هو الآخر وجميع الدعائم السيمانطيقية لا تعكس إلا رغبة الغرب في أن ينشئ هذا الآخر حسب قاعدة الذات واحتياجه إليها. فمناقشة «الهوية الصينية» في اللغة الإنكليزية أو أي لغة أوروبية أخرى ـ بيت القصيد في ورقة وانغ ـ تنتهي إلى نتيجة تقول كل ما تريد، إلا الصيني! والأسوأ من هذا المعطى ـ أو الأسوأ من أن تكون معظم المفاهيم الجاري بها العمل في العلوم الاجتماعية والإنسانية، إنما في الحقيقة مستعارة من الغرب ـ أنه في الحالة الصينية، ومنذ حرب الأفيون، لا تزال تروج الأفكار المتمركزة على الذات، وذات النزعة الأوروبية التي تختبئ وراء هذه المفاهيم حتى يعاد تأويل وبناء التقليد الصيني، وهكذا، تقدم الصين المشوهة ـ وليس وحدها وحسب ـ وكأنها الوجه الآخر للغرب.

يرى وانغ بأن بلده دخل في النظام العالمي للهوية، وعلى وجه الضبط في العالم المعاصر الذي وصفه ماكس فيبر، من خلال ورقة التعريف الشخصية، والذي يرمز إلى تغيير ما، لأنه يرمز لإعادة تأسيس الهوية للبلد ذاته. وأمام بطاقة التعريف هذه يطرح الكاتب مجموعة من الأسئلة الهوياتية: بأي معنى وإلى أي حد تعبر هذه الورقة عن وجود الفرد، ووضعه وحالته الشخصية؟ وكيف يمكن أن يشعر الإنسان بالراحة إزاء هذا النوع من الهوية حتى لو كانت تيسر الحفاظ على قواعد العمل الضرورية لاستقرار المجتمع! (مهم جدا التنبيه إلى أن الهوية الرقمية تتعاون تعاونا فعالا مع التشيوء والاتجار المتنامين للعلاقات الإنسانية لغاية التسخير الناجح للأجسام والنفوس).

تكفل عزيز العظمة باستعراض وجهة نظر الساحة العربية، وقد كان، متفقا مع الشق الأول من مداخلة وانغ بين، مع فارق أن الأمر هذه المرة يتعلق بالحالة العربية، عندما يشير إلى أن لفظة «الهوية» لم تفهم في المعجم السياسي والمجتمع العربي إلا حديثا. ويصل الاستخفاف المفاهيمي لدى الكاتب إلى حد التأكيد على أن «الهوية في العالم العربي الراهن ليست شيئا آخر غير الزيف والتدجيل، وقد رُفعت إلى بلاغة الإيديولوجيا»، مضيفا في فقرة أخرى أن «التبجح بالهوية ليس من فعل فاعل متقدم في التاريخ يحدّث بفعله المجتمع، إنما هي شعر أو رمز يستخدم في النضال من أجل الهيمنة، وذلك بتعليم المجتمع وإطلاعه على واقعه المفترض وإرشاده إلى التشكيل السابق على الاختلالات التي أحدثتها قوى الحداثة، ونتيجة لذلك فالهوية منتزع منها وجه النمو والمطمح التاريخي». مطالبا في نهاية مبحثه بأن تنحو الدراسات الأنثربولوجية حول مسالة الهوية نحو إنتاج أبحاث موضوعية وليس أحكام فردية.

وناتي لإحدى أهم المداخلات الواردة في الكتاب، وتعود للباحث محمود ممدني (كاتب من أصل أوغندي يدرس الأنثروبولوجيا السياسية بجامعة كولومبيا في نيويورك)، حيث اشتغل على المجازر الجماعية التي تمت في رواندا في سنة 1994، ولكن قبل الخوض المستفيض في الحدث الدموي، يحدد ممدني مجموعة منطلقات منهجية بالدرجة الأولى، منها استنكاره لتقسيم العالم إلى حداثيين وما قبل حداثيين. الأولون ينتجون الثقافة، في حين يعيش الآخرون في ثقافة خارج الزمان! مطالبا أيضا بضرورة «فهم إنسانية المجرم، بأن نتقمص شخصيته، لا لنبرئ ساحته هو وقتيله، ولكن لنجعل هذا الفعل «قابلا للتفكير»، حتى نفهم شيئا عن وجودنا ذاته ككائنات إنسانية».

يفرق ممدني بين الهوية القانونية والهوية السياسية والهوية الثقافية، وهذا ما أفرز قوانين التمييز العنصري مثلا، لأنه عندما يفرض القانون تمييزا ثقافيا فإن هذا التمييز يصبح شيئا قائما. وبالنسبة للكتّاب الذين يشتغلون على حقوق الأقليات، فإنهم، برأي الأنثروبولوجي الأوغندي، يميلون غالبا إلى أن يسلموا بوجود الأغلبية والأقلية كمعطى، ويفترضون أن الهوية الثقافية يجب أن نجد لها تعبيرا سياسيا. وإذن فإن الأقليات الثقافية (أي الأقليات الجماعية الإثنية) ينبغي أن تصبح لا محالة أقليات سياسية. وبدلا من أن نعتبر الهويات الجماعية كمعطيات، فقد اجتهد ممدني في أن ينظر إلى عملية تكوين الجماعات من الوجهة التاريخية، وقد أتاح له هذا المنظور أن يقيم فارقا بين الهويات الثقافية والهويات السياسية وهو فارق يربط هذه الأخيرة بعملية تشكيل الدولة.

أما الفصل بين الهويات الثقافية والهويات السياسية، فهو فصل جوهري، وكقاعدة عامة، فإن الهويات الثقافية مجمع عليها بالاتفاق والتراضي طوعا لا كرها ويمكن أن تكون متعددة. مداخلة إيمانويل رينو (من جامعة ليون الفرنسية) كانت سفرا مفاهيميا وتاريخيا مع أهم الأدبيات العالمية التي عالجت مفهوم «الهوية»، حتى أن الورقة ضمت أكبر عدد من المراجع مقارنة مع باقي الأوراق (33 مرجعا بالضبط، عرجت على أسماء مرجعية كآلان بادیو وبورديو وهرابرماس وفرويد ولاكلو ونيكري وتايلور..)، ولعل أهم ما جاء في ورقة رينو، تأكيده على أن الهويات لا تنفك عن عملية تسييس الذات، بحيث أن بواعث الصراعات الاجتماعية (من صنف الصراع الإثني الذي فككته ورقة محمود ممدني) يجب أن نبحث عنها دائما في الشعور بالظلم الناتج إما عن إحساسنا بنكران كرامتنا العامة كبشر، وإما عن الوعي بالنيل من القيم التي نضفيها على مظهر من مظاهر ذاتيتنا. وكل هوية خاصة لا تصير موضع صراع مجتمعي أو سياسي إلا عندما تتعرض لأذى ما.

من جهته، يشتغل الباحث الأمريكي دافيد أ. هولينجر على تصريح/نموذج صدر يوما عن لاعب الغولف الشهير تايغر وودز، والذي صرح في سنة 1997 على قناة وطنية بأنه يعتبر نفسه خليطا من الأجناس أكثر من كونه «إفريقيا أمريكيا»، مما فتح نقاشا وطنيا حول هويته الحقيقية. والمثير في ورقة هولينجر، إقراره الصريح بخطورة النقاش الدائر حول مفهوم الهوية في الولايات المتحدة، مؤكدا في آن بأن الهوية ليست حالة سلبية حيادية، ومادامت توحي وتبعث على سلوكات مجتمعية، فقد أصبحت موضع نقاشات تتنافس فيها المطالب المتضادة على الطابع والواجبات المجتمعية للفرد.

تتقاطع مداخلة ن. جايرام (أستاذ علم الاجتماع بجامعة غوا بالهند) ـ ودون أن يطلع على ورقة وانغ بين ـ مع مداخلة هذا الأخير، في نقاط عدة، منها الاتفاق على كثرة تداول لفظ الهوية خلال السنين الأخيرة، وإذا اعتبرنا أن هذا المفهوم لم يكن حينئذ موضوع تحليل عقلي ـ والتقييم لمثل الورقة الهندية ـ فإن الدلالة التي كان يتخذها سواء في الإنجليزية أو فيما يستعار له من الألفاظ الجديدة من اللغات المختلفة في الهند، قد ظلت غامضة، والصحافيون والباحثون في العلوم الاجتماعية يجمعون على كونه إجرائيا على الأقل عند تناول المسائل التي تطرحها تحولات ضروب السلوكات الجماعية. ويورد جايرام في هذا الصدد رؤية ثاقبة، لا يبدو أنها تهم فقط شبه القارة الهندية، عندما يخلص إلى أن البلد عاش لقرون طويلة على فكرة السيادة المادية والمعنوية للجماعة على الفرد، فإن التناقضات الناتجة من لقائه واتصاله مع الليبرالية الغربية والفلسفة الفردانية قد زادت من تعقيد دينامية الهوية.

ومن ينكر أن هذه الرؤية تنطبق بشكل ملفت على «ثقافة الهجنة» ـ بتعبير الراحل إدوارد سعيد وترجمة كمال أبو ديب ـ المميزة، مثلا، للثقافة الكوسموبلتية في الحالة الأمريكية، أو لعرب الغربة والمهجر والاغتراب؟

مشروع «مفاهيم عالمية»، مشروع جاد وقيم يستحق التشجيع، وإن لم يصنع عالما، فعلى الأقل كتابا.

* كاتب من المغرب

نزهة الغريب: لم كل هذا الشقاء؟

فاروق يوسف*

شجرة لشمس وحيدة

برأس فأر وجناحي غراب وذيل قندس
يطل الخريف ليعبئ الغابة أقاويل
فأره مذعور
غرابه محبط
قندسه مرتبك
غير أنه يمضي إلى هدفه مطمئنا
عصفه يسكن الأوراق قبل أن تسقط
وذراعه ترعى الغزلان
يالفتنة شمسه
يالعريها الحيي
ذهبها يمشي بخطى صبية،
بللت الشهوة أهدابها بالنعاس
تمشي في نومها
فيما القرويات يملأن جرتها عسلا
كم من القبور يغطيها ذلك الوشاح
وهو يجري متبوعا بالنسيان الأبيض

فأس في المياه

عاكفة على مرآتها
الفأس المهجورة في قسوتها
يد الحطاب لا تزال تؤلمها
يد الحطاب عينه الشريرة
طفلة اللغة المسحورة
هي الأخرى تحلم
الماضي رئة
هواؤها يقشر الخشب
فأس في المياه
هي يد ثالثة بددها الجسد

نزهة الغريب

أذهب إلى جمعة من صلوات،
جارا ورائي خيطا من الحليب،
هو ما تبقى من نداء أم بعيدة
لا مؤذن في الغابة
العصفور ليس له دين
لا دروب مضاءة،
العشب الذي التهم المسافة
دثر خطواتي بالحشرات
كل قدم متأخرة هي حشرة تذهب إلى حتفها
لست الوحيد إذن الذي تخونه الذكرى هنا

شيخوخة كلب

(مثل كلب)
كانت جملة كافكا قد علقت به
عيناه نابتتان على زهرة
فيما أذنه تنصت إلى نشيج متقطع
مثل كلب،
كان كافكا الذي استيقظ لتوه ليقول جملته
يتذوق سم العدالة بلسان ضجر،
كانت يداه مسمرتين إلى صليب،
فيما فمه يزدهر
مثل كلب،
شيخوخته تكسر فانوسها

الجنوب

حيث الصيحة، فتاتها لا يزال يلاحقني بزرفته
حيث الألم، جملته طويلة مثل حياة مهملة
حيث الأب، أسير دمعته في آخر الليل
حيث الضحكة التي تجيء بجلادها
حيث الطعام دسيسة
حيث أنا
ذلك الذي يشبهني
والذي يعيرني ضحكته
والذي يلصق صرخته بحنجرتي
والذي دمعته معبد لقروياتي النضرات
والذي ناقوسه يملأني مصلين وأبراجا وأدعية

أخطاء

أخطأني ظل الفراشة،
فصرت أفتش عن شق بين حجرين
مثل صرخة سقطت في قاع بئر،
لكي اختبئ
أخطاتني زخارفه،
فصرت أشبه باللعثمة على شفتين يابستين
أجرح الهواء إن سقطت
وليس لي جناحا ملاك
لأحلق
أبحث عني
1
التفاح التقط الخيط، وصار يتعثر مثل جملة في فم ادرد
فيما الكلب المسن يتبعني
ألأنه يتشبه بظلي علق نعاسه برائحتي؟
ونام مثل جرس بين خطواتي
2
أشبه بالعودة إلى الله عند باب القبر،
الصمت الذي يستدعيه الكلام
لا يلمس هواؤه الشفتين حتى يجرح

المرعى

لا تصنع الكلمات قصائد،
القصائد هي التي تخترع الكلمات
كذلك الموسيقى،
الغابة تسبقها
قبل الخراف
يصغي الرعاة للريح
للناي أخطاؤه:
فكرته عن الهواء
والفم الذي يحرسه
وهو مرعاه

مداخن شتائية

الدخان يمزج الغيوم بحكايات المنزل
ثمة خيوط ملونة تغزل ثوبا
يلوح من بين عقدها البرق
هنالك طفل
تشق نظرته الطريق إلى امه النائمة
تحت اوراق الخريف
فيما الدخان يلهو
لا يتوقف الشيخ عن سعاله

معجزتك

ما أغباها، إنها لا تشير اليك
معجزتك الصغيرة، أنت وحيد فيما الكون كله لاه عنك
غابتك مفتوحة للطارئين
وأبوابك لا تقول شيئا
فيما العنب يقول شيئا مختلفا
الدمية التي تشبهك
قد ترى بعينيها ما لا نراه
نحن الغافلون عن حيرتك

موعظة

بقدمي ديك شجاع
اجر جرس الكنيسة إلى العشب
ليكون الفجر صالحا لصلاة،
هي الاخرى تفكر بالزوال،
مثلي مفتونة بالحبر
الجريئة مثل لفتتها
لتفنى في هيامها
ولهها الوحيد: إنها تعظ

غبار قدميك

فيما الهواء كله يخترع غابة،
غبار قدميك غابتي
ذاهبا اليك، آت منك
غبار قدميك أجنحتي
إسمح للشجرة بالظهور
لأوراقها أن تسقط
فالزيت الذي يسيل من يديك
لا يكفي لاطعامها
غير أن ما يتبقى من غبار يديك
بإمكانه أن يصف رعيتي
اولئك الساهرين على خريفك

غربته تتشبه به

هل قلت: الشجرة؟
مثلها يمكنني أن امحى
هل قلت: النوم؟
مثله يمكنني أن أكون منسيا.
هل قلت: ذراعك؟
لقد تركته في الهواء وهو يلوح لك.
للمرآة فتنتها،
رائحة السرير كما لو أنا وشاية

ليل

قبل القدم، هناك هواء
قبل اليد، هناك موعظة
قبل النفس الآخير هناك ليل
ليل هو الآخر أعمى
يتشبه بنا من غير أن يرانا

سيزان

تفاحته مثل انثى وحيدة
فتنتها تسحقها
القي قدما في الفراغ
فلا أكون شاهدا
ولا ضحية
أصنع من العين التي رأتني معبدا
أكون الهته

اللعبة

المستقبل ليس شعرا،
إنه بداهته
مكعبات متاحة
ومشي مع الاسيجة
ورماد يزخرف الشفتين
سؤال يظل وحيدا ومغلقا على نفسه:
لم كل هذا الشقاء؟

* شاعر وناقد من العراق يقيم في السويد